الإغاثة

في

التعليق على الأصول الثلاثة

علَّق عليها

أبو عبد الرحمن خليل بن عبد الله الحمادي

أهمية هذه الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فإنَّ رسالة الأصول الثلاثة رسالة على صغر حجمها؛ فقد حملت فقهًا عظيمًا من مبادئ علم التوحيد، مما يحتاج العبد إلى معرفته والعمل به حاجة عظيمة.

ويكفي للدلالة على أهميتها أنها تتكلم عن أسئلة القبر التي يُسأل عنها العبد أول لحظات نزوله إلى قبره.

ومعلوم أنَّ القبر أول منازل الآخرة فمن سعد فيه فهو فيما بعده أسعد، ومن شقي فيه فهو فيما بعده أشقى؛ وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه**"(١).

وقد جاء ذلك مصرحا به في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود وغيره، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟** " قَالَ: " **فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ**".

فمن نجح في هذا الاختبار سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، ومن خسر فيه شقي شقاء لا يسعد بعده أبدًا.

فعُرِف بهذا أنَّه ينبغي على العبد المسلم الاعتناء بهذه الأصول غاية العناية، تعلمًا

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعملاً وتعليمًا؛ لكي تتضح له معالم دينه الذي يلقى به ربَّه سبحانه وتعالى، ويزداد ثباتًا عليه.

وللشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالتان تدوران حول هذا الموضوع:

فالأولى رسالة "الأصول الثلاثة": وهي هذه الرسالة التي بين أيدينا؛ وهي رسالة مختصرة كان الشيخ يدرسها لصغار الطلبة ولعوام الناس، فهي نافعة لهم وسهلة العبارة، ولهذا أردت التعليق عليها بما يفتح مغالقها للصغار والعوام، وأسأل الله القبول وأن ينفع بها.

والثانية رسالة " ثلاثة الأصول": وهي أوسع من هذه التي بين أيدينا، فيها شيء من التوسع ويدرسها طلبة العلم في أوائل دراستهم لكتب التوحيد، وقد أفردتها بشرح أطول من هذا الذي بين أيدينا والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

وأسأل الله أن يتقبل أعمالنا وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

فإلى المقصود ونسأل الله عونه وتوفيقه، ونسأله الهدى والسداد.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول:

إنَّما يجب على كل مسلم معرفتها لأنَّها تشتمل على ما يجيب به العبد في القبر على أسئلة القبر الثلاثة بأدلتها وهي: **من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟**

وقيل لها الأصول: لأنها الأساس الذي تنبني عليه نجاة العبد أو هلاكه.

وهي: معرفة ربه، ودينه، ونبيه:

المعرفة: هي العلم الذي يجتهد صاحبه العمل به. (١)

(١) **قال ابن القيم في المدارج:** المعرفة هي العلم الذى يراعيه صاحبه ويعمل بموجبه ومقتضاه. وكذا قاله الفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/ ٩٣)

(الأصل الأول)

فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

أي من ربك الذي تعبده وتخصه بالعبادة؟

فقلْ ربيَّ الذي ربّاني بنعمِته:

الرب: هو المربِّي جميع عباده بالتدبير، وأصناف النعم، فهو سبحانه الذي يخلق ويرزق ويدبِّر الأمر.[1]

قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [سورة يونس: ٣١].

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الإله فقال سبحانه: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي بالمطر. ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنبات. ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ أي من جعلها وخلقها لكم. ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ أي النبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والسنبلة من الحبة، والطير من البيضة، والمؤمن من الكافر. ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ أي: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم

---

(١) فحقيقةُ معنى الربوبية تقوم على رُكْنَين:

الأول: إفرادُ اللهِ بالخلْقِ، **والثاني:** إفرادُه بالأَمْرِ وتدبير ما خلقَ.

يُسْألُون، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون بذلك، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي أفلا تخافون عقابه ونقمته في الدنيا والآخرة.

وخلقني من عدم إلى وجود:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [سورة الرعد: ١٦].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [سورة الزمر: ٦٢].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو وحده الخالق لكل شيء في هذا الكون، وهو سبحانه المتصرف في كل شيء في هذا الوجود، بحيث لا يخرج مخلوق عن إذنه ومشيئته.

وهو سبحانه الذي أوْجَدَ جميعَ الأشياءِ بَعْدَ أَنْ لم تكنْ موْجُودةً، وقَدَّرَ أمورَها فِي الأزل بعد أن كانت معدومةً.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [سورة الإنسان: ١].

والدليلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [سورة آل عمران: ٥١].

فالأدلة على أنَّ الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير كثيرة؛ ومنها خلق عيسى عليه السلام؛ الذي خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير أبٍ، مما يدل على قدرة الله سبحانه وتعالى العظيمة، فلهذا قال عيسى لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ فهذا

إقرار من عيسى عليه السلام بأنَّه عبدٌ مدبرٌ مخلوقٌ، فيقول لهم: كما أنَّ الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعمًا ظاهرةً وباطنةً، فليكن هو معبودنا الذي نألهه بالحب والخوف والرجاء والدعاء والاستعانة وجميع أنواع العبادة.

قوله: وإذا قيلَ لكَ بأي شيءٍ عرفتَ ربَّك؟

أي: بم استدللت على معرفة ربك؟

فإنَّ اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه؛ إنما هو في معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتوحيده والإيمان به.

وما أرسلت الرسل ولا أنزلت الكتب إلا لتعريف الناس بربهم، وتعريفهم بما يجب عليهم من عبادته، فإنَّ من عرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حقًا؛ قادته تلك المعرفة لمحبة الله والإيمان به وعبادته حق العبادة. (١)

---

(١) **قال ابن القيم**: ولما كان مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الرب تعالى؛ قال أفضل الداعين إليه سبحانه لمعاذ بن جبل وقد أرسله إلى اليمن: "**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ...**" وذكر باقي الحديث وهو في الصحيحين وهذا اللفظ لمسلم

فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان:

أحدهما: تعريف الطريق الموصلة إليه وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه

الثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد وقرة العين التي لا تنقطع

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول ومبنيان عليه فأعرف النَّاس بالله أتبعهم للطريق الموصل إليه، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه. انتهى من الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ١٥١).

قوله: فقُل عرفته بآياتِه ومخلوقاتِه؛

فكلُ خلقِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آيات تدل على وجوده وعظمته سبحانه، ولكن ما كان متغيرًا ويذهب ويجيء كالليل والنهار والشمس والقمر؛ فالآية فيه أوضح وأعظم من المستقرة التي لا تتغير، مثل السماء والأرض.

فأما الدليلُ على آياته:

المقصود بالآيات هنا هي الآيات الكونية، ويدخل فيها كل ما خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذا الكون، ففيه آياتٌ تدل على عظيم قدرته سبحانه، وأنَّه الواحد الأحد الفرد الصمد.

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه الواحدُ

فقولُه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة فصلت:٣٧].

أي ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ﴾ الدالة على كمال قدرته، وأنَّه الله وحده لا شريك له ﴿ٱلَّيْلُ﴾ هذا بمنفعة ضيائه، وتصرف العباد فيه وما جعل الله فيه من المعايش، وذاك بمنفعة ظلامه، وسكون الخلق فيه، وما جعل الله فيه من المنافع العظيمة.

﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ﴾ اللذان لا تستقيم معايش العباد، ولا أبدانهم، ولا أبدان حيواناتهم، إلا بهما، وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده.

ودليل مخلوقاته

أي ودليل مخلوقاته التي من تفكر فيها قادته إلى معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

يقول تعالى مبينًا أنَّه الرب المعبود وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، أي أنَّه سبحانه الذي خلق السموات والأراضين وما فيهما على عظمهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما، وما بين ذلك في ستة أيام.

وهو قادرٌ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على خلقها بلحظة، ولكنه تعالى له الحكم البالغة، ومنها أن يُعلمَ عباده التؤدة، والتمهل في الأمور.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النحل: ٤٠].

وإذا قيل لك: لأي شيء خلقك الله؟

أي فإذا عرفت أنَّ الله هو الخالق سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الخلق من العدم، وأنَّك من جملة المخلوقين؛ فما هي الحكمة التي خلقك الله من أجلها أيها الإنسان؟

فقل: لعبادته وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه.

فهذه هي الحكمة التي خلقنا الله لأجلها، أنَّ نعبده سبحانه وتعالى وحده ولا نشرك به شيئًا، وأن نطيعه فيما أمرنا به، وأن نجتنب ما نهى عنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ودليل العبادة: أي الدليل على أنَّ الله خلقنا لعبادته.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات].

فما خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الجنَّ والإنس وبعثَ جميع الرسل إلا لغاية سامية، هي عبادته وحده سبحانه وإفراده بالعبادة.

ودليل الطاعة: أي الدليل على أنَّه يجب علينا أن نطيع ربنا سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

أي: في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فإنَّ طاعة الله وطاعة رسوله، مدار السعادة، وعنوان الفلاح.

قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، **يعني كتاب الله وسنة نبيه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

أمر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة بأنَّ كلَّ شيء تنازع فيه الناس في أمور الدين أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله، وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقد أجمع المسلمون على أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هو الرد إليه في حضوره وحياته وإلى سنته في غيبته وبعد مماته. (١)

قوله: وإذا قيل لك: أي شيء أمرك الله به ونهاك عنه؟

أي ما أعظم شيء أمرك به ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأعظم شيء نهاك عنه سبحانه.

فقل: أمرني بالتوحيد: إفراد الله تعالى بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

---

(١) قاله ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٢٧٢).

ونهاني عن الشرك: وهو أن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئًا من أنواع العبادة؛ كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة.

ودليل الأمر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [سورة النحل: ٩٠].

العدل: هو الإنصاف ووضع الشيء في موضعه، وأعظم الإنصاف توحيد رب العالمين وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

قال ابن عباس ومقاتل وغيرهما: العدل التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله.

فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشراك به، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه، ويأمر بالإحسان في حقه بعبادته وأداء فرائضه على الوجه المشروع، وإلى الخلق في الأقوال والأفعال، ويأمر بإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرُّهم، وينهى عن كل ما قَبُحَ قولا أو عملا وعما ينكره الشرع ولا يرضاه من الكفر والمعاصي، وعن ظلم الناس والتعدي عليهم.

ودليل النهي عن الشرك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [سورة النساء: ٤٨].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هاتين الآيتين عن الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأبلغِ النهي، وهو التحذير من عواقبه، وما يجنيه من أشرك بالله سبحانه وتعالى.

فالآية الأولى تدل على أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يغفر لمن مات على الشرك.

والآية الثانية تدل على أنَّ من مات على الشرك فالجنة عليه حرام؛ ومأواه النار وبئس المصير.

وقد جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين الأمر بعبادته والنهي عن الشرك به في آية واحدة فقال سبحانه: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [سورة النساء: ٣٦].

(الأصل الثاني)

إذا قيل لك: ما دينك؟

أي: بأي دين تتعبد؟

فقل: ديني الإسلام.

فالإسلام هو الدين الحق؛ وهو الذي جاء به نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهو الاستسلام والإذعان والانقياد إلى الله تعالى.

فالإسلام بمعناه العام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو الذي بُعِث به جميع الأنبياء والرسل، قال الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

والدليل: أي بأنَّ دين الإسلام هو دين الحق والهدى.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٩].

فهذا إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام.

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي جاء به نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلن يقبل منه هذا الدين المخالف لدين الإسلام، لأن دين الإسلام الذى جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة: ٣].

فهو الدين الذي ختم الله به الديانات، وجمع فيه محاسنها.

ومن ابتغى غير هذا الدين فهو في الآخرة من الذين خسروا أنفسهم بحرمانهم من ثواب الله، واستحقاقهم لعقابه جزاء ما قدمت أيديهم من كفر وضلال.

وهو مبني على خمسة أركان:

أي هذا الدين الذي لا يقبل الله غيره مبني على هذه الأركان الخمسة.

وأركان الإسلام: هي أُسُسه وقواعده التي يبنى عليها.

أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله:

معنى هذه الشهادة الاعتقاد الجازم المُعَبَّر عنه باللسان بأنَّ الله هو المعبود الحق وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً هو الرسول المبلِّغ عن الله.

فبالشهادة الأولى يُعرف المعبود، وما يجب له.

وبالثانية يُعرف كيف يُعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبأي طريق يصل إليه العبد.

فهما ركنٌ واحد.

وإقام الصلاة:

المقصود بإقامة الصلاة، أي أداؤها كاملة تامة بالمحافظة على أوقاتها وطهارتها وجماعتها وأركانها وآدابها، والخشوع فيها، وأن تكون مطابقة لصلاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**". رواه البخاري عن مالك بن الحويرث.

والواجب على المكلف خمس صلوات في اليوم والليلة.

صلاة الفجر وهي ركعتان، يجهر في الركعتين.

صلاة الظهر وهي أربع ركعات، يسرُّ بها في جميع الركعات.

صلاة العصر وهي أربع ركعات، يسرُّ بها في جميع الركعات.

صلاة المغرب وهي ثلاث ركعات، يجهر في الأوليين ويسرُّ في الثالثة.

صلاة العشاء وهي أربع ركعات، يجهر في الأوليين ويسرُّ في الأخريين.

وإيتاء الزكاة:

هو إعطاء الصدقة المفروضة لمستحقيها عن طيبِ نفسٍ.

وهي واجبة في أصناف وهي:

الذهب والفضة والنقود التي يتعامل بها الناس اليوم، وعروض التجارة التي تعد للتجارة.

والزروع والثمار إذا استوت، من تمر وعنب وحب وأرز، وغير هذا من الحبوب إذا بلغت النصاب فإنَّها تزكى.

وبهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم.

ومصارف الزكاة ثمانية أصناف، وهي المذكورة في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٦٠].

وصوم رمضان:

هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ.

والفرض الواجب هو صيام رمضان، لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

وحج البيت من استطاع إليه سبيلا.

هو قصْد البيت الحرام والمشاعر العِظام وإتيانها، في وقتٍ مخصوص، على وجهٍ مخصوص.

ويجب على المكلَّف في العُمْر مَرّة واحدة بالنص والإجماع.

وأشهر الحج ثلاثة وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة.

وأما مناسك الحج فتبدأ من يوم الثامن من ذي الحجة وينتهي إما في الثاني عشر منه للمتعجل، والثالث عشر لمن تأخر.

وأما أدلة هذه الأركان من كتاب الله فقد ذكرها الشيخ فقال:

فأما دليل الشهادة فقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٨].

فهذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم، الذين شهدوا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالوحدانية.

فينبغي للعبد أن يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئًا، لا في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته.

وتوحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك.

ومعنى ذلك أن يُقِرَّ العبد بأنَّ الله تعالى ربُّ كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنَّه المحيي المميت النافع الضار المنفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله.

وتوحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة من صلاة وصوم وحج وزكاة ونذر وذبح وغير ذلك من العبادات.

فمن وحَّد الله في ربوبيته لزمه أن لا يصرف نوعًا من أنواع العبادات لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل يخلص جميع العبادات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وتوحيد الأسماء والصفات أن تصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتسميه بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا كلُّه مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، فمن حقق ذلك فهو الموحد الحق.

ودليل أن محمدًا رسول الله قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

فهو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافَّة من الإنس والجن.

فإذا كان كذلك توجب على الناس طاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أمر وتصديقه فيما أخبر به واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وهذا هو حقيقة الشهادة بأنَّ محمدًا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودليل الصلاة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٠٣].

كِتَابًا: أي فرضًا لازمًا، **مَوْقُوتًا**: المؤقت في أوقات معلومة.

والمعنى أنَّ الصلاة مفروضة فرضًا لازمًا، ولابد من أدائها في أوقاتها المعلومة التي جعلها لها ربُّ العالمين، وعلمها جبريل عليه السلام لنبينا الأمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودليل الزكاة قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣].

أي أنَّ دليل ركنيتها ووجوبها الأمر في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾

ودليل الصوم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة: **١٨٣**].

كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ: أي فرض عليكم الصيام.

ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران:**٩٧**].

قال ابن كثير: هذه آية وُجُوب الحج عند الجمهور.

وقد وَرَدَت الأحاديثُ المتعددة بأنَّ الحجَّ أحدُ أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعًا ضروريا.

ودليلها مجتمعة من السنة حديث عبد الله بنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** ". متفق عليه

وإذا قيل لك: وما الإيمان؟

الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويشتمل على خمسة أمور:

أولاً: قول القلب، وهو التصديق مع الإقرار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [سورة الزمر: **٣٣**].

ثانياً: قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمها.

ثالثاً: عمل القلب، وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد، وغيرها من أعمال القلوب.

رابعاً: عمل اللسان، وهو العمل الذي لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى باللسان.

خامساً: عمل الجوارح، وهو العمل الذي لا يؤدى إلا بها مثل الصلاة والمشي في مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كنقل الخُطا إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى بالجوارح.

وأركانه ستة ولهذا قال:

فقل: أن تؤمن بالله

معنى الإيمان بالله عز وجل: هو الاعتقاد الجازم بوجود الله تعالى، والإقرار بربوبيته وأُلوهيته وأسمائه وصفاته.

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور، فمن آمن بها فهو المؤمن حقاً.

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

ثانياً: الإيمان بربوبيته تعالى، وأنَّه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

الثالث: الإيمان بألوهيته، وأنَّه الإله الحق لا شريك له.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

وملائكته:

الإيمان بالملائكة: هو الاعتقاد الجازم بوجود الملائكة، وأنهم نوع من مخلوقات الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور لا بد منها:

١- الإيمان بوجودهم.

٢- الإيمان بأسماء من علمنا اسمه منهم: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ورضوان، وغيرهم عليهم السلام.

٣-الإيمان بأوصاف من علمنا وصفه: كما علمنا من السنة وصف جبريل عليه السلام، وأنَّ له ستمائة جناح قد سد الأفق (أي: ملأ السماء).

٤-الإيمان بأعمال من علمنا عمله منهم: فجبريل عليه السلام موكل بما فيه حياة القلوب وهو الوحي، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، وميكائيل موكل بالمطر، ومالك موكل بالنار، وهكذا.

وكتبه:

الإيمان بالكتب: هو الاعتقاد الجازم بأنَّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتبا أنزلها على رسله، وأنَّ هذه الكتب كلام الله تعالى تكلَّم بها حقيقة كما يليق به سبحانه، وأنَّ هذه الكتب فيها الحق والنور والهدى للناس في الدارين.

والإيمان بالكتب يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًا.

الثاني: الإيمان بما سمَّى الله من كتبه كالقرآن الكريم الذي نزل على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتوراةِ التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها كأخبار القرآن.

ورسله:

الإيمان بالرسل: هو الاعتقاد الجازم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعث في كل أمة رسولا منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنَّ الرسل كلَّهم صادقون مصدَّقون، أتقياء أمناء، هداة مهتدون.

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حقٌّ من الله تعالى، فمن كفر برسالةِ واحد منهم فقد كفر بالجميع.

الثاني: الإيمان بكل من سمى الله من الأنبياء، مثل: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالًا.

الثالث: تصديق ما صح من أخبار الرسل.

الرابع: العمل بشريعة الرسول الذي أرسل إلينا وهو أفضلهم وخاتمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر: معناه الاعتقاد الجازم بإتيانه لا محالة والعمل بموجب ذلك.

ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، ونَشْر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض والشفاعة، وبالجنة ونعيمها، وبالنار وعذابها.

وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى:

المقصود بالقَدَرِ: تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته حكمته.

الإيمان بالقدر: هو الاعتقاد الجازم بأنَّ كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره، وأنَّه لا يكون شيء إلا بإرادته، وأنَّه خالق أفعال العباد والطاعات والمعاصي، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم، وجعلهم مختارين لأفعالهم، غير مجبورين عليها.

الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأنَّ الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

ومِن ذلك عَلِمه بجميع خلقه قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم، وأسرارهم وعلانيَّاتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الطلاق: ١٢].

الثاني: الإيمان بكتابة ذلك، وأنَّه تعالى قد كتب جميع ما سبق به عِلْمُه أنَّه كائن في اللوح المحفوظ.

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الحديد: ٢٢].

الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة التي لا يردُّها شيء، وقدرته التي لا يعجزها شيء، وأنَّ ما هو كائن إنما حصل بمشيئة الله، ولا يقع في ملك الله إلا ما أراده الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الإنسان: ٣٠].

الرابع: الإيمان بأنَّه سبحانه هو الموجد للأشياء كلها، وأنه الخالق وحده، وكل ما سواه مخلوق له، وأنه على كل شيء قدير. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الرعد: ١٦].

والدليل قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر: ٤٩].

فهذه أدلة هذه الأركان من القرآن، وأدلتها من السنة قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه مسلم حين سأله جبريل فقال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **"أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"**

وإذا قيل لك: ما الإحسان؟

الإحسان: الإتقان في الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة.

وهو على قسمين:

الأول: الإحسان في العبادة: وهو عبادة الإنسان ربه بإتقان وإخلاص في السر والعلن على أكمل وجه، ويكون ذلك بفعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات.

الثاني: الإحسان إلى المخلوق كالوالدين والجار والزوجة والبهائم وغيرهم، ومعناه: القيام بحقوقهم وترك الإساءة إليهم.

فقل: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فالإحسان في عبادة الله على مرتبتين:

مرتبة الرَّغبِ: وهو أن تعبد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كأنك تراه.

فمن عبد الله عَزَّوَجَلَّ على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنَّه بين يديه كأنَّه يراه؛ أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم.

ومرتبة الرَّهبِ: وهي أن تعبد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كأنه يراك.

فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى، لأنَّ استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى، وإرادته بالعمل.

والدليل وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة النحل: ١٢٨].

ومعنى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ أي: تركوا المحرمات، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ أي: فعلوا الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم.

وإذا قيل لك: منكر البعث كافر؟

البعث: هو إحياء الله الموتى يوم القيامة وإخراجهم من قبورهم إلى الموقف للحساب والجزاء.

فقل: نعم: أي أنَّه يكفر بإجماع المسلمين، وهو ضالٌ في دينه، سفيهٌ في عقله؛ فإنَّه بإنكاره للبعث يكون مكذبًا لله ولرسوله ولإجماع المسلمين.

والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾﴾ [سورة التغابن: ٧].

قوله: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ أي من قبوركم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ أي تخبرون به وتحاسبون عليه ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي سهلٌ لأنه لا يعجزه سبحانه شيء.

(الأصل الثالث)

إذا قيل لك: من نبيك؟

أي من الرسول الذي أرسله الله إليك وأمرك بتصديقه واتباعه؟

فقل: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من كنانة وكنانة من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل، وإسماعيل من إبراهيم الخليل، وإبراهيم من نوح، ونوح من آدم، وآدم من تراب.

هذا اسم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونسبُه وأصله.

فاسمه: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

ونسبه: أنَّه من بني هاشم، وهاشم من قبيلة قريش التي هي أشرف القبائل، وقريش من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

وإسماعيل هو ولد إبراهيم الخليل عليه السلام، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أشبه الناس بأبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

فقد روى مسلم عن جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ -"**.

وإبراهيم يمتد نسبه إلى سام بن نوح، وهو أبو العرب كما ذكر ابن الأثير في الكامل.

ونوح من آدم، وآدم عليه السلام خلق من تراب، ثم قال:

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٩].

والمعنى: إنَّ خَلْقَ الله لعيسى من غير أب مثَلُه كمثل خلق الله لآدم من غير أب ولا أم، إذ خلقه من تراب الأرض، ثم قال له: "**كن بشرًا**" فكان. فدعوى إلهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة؛ فآدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم، واتفق الجميع على أنه عَبْد من عباد الله.

إذا قيل لك: من أول الرسل

الذي أرسله الله إلى أهل الأرض.

فقل أولهم نوح:

فنوحٌ أول رسول أرسله الله سبحانه وتعالى إلى أهل الأرض، بعد وقوع الشرك فيها.

وفي حديث الشفاعة: "**فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ**". أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم:

فنبينا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء والمرسلين وهو خير الرسل وأفضلهم.

كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [سورة النساء: ١٦٣].

فذكر نوحًا ثم ذكر النبيين مِن بعده.

وإذا قيل لك: بينهم رسل؟

أي هل بين نوحٍ ومحمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسلٌ.

فقل: نعم:

أي هناك كثير من الرسل ما بين نوحٍ ومحمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلهم الله إلى أقوامهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [سورة إبراهيم: ٩].

منهم من قصَّ الله عَزَّ وَجَلَّ علينا من خبرهم، ومنهم من لم يقصصهم علينا، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ [سورة غافر: ٧٨].

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

أي: في كل قرن من الناس وطائفة رسولًا، وكلهم يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه، ولم يزل الله تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك، منذ حدث الشرك في بني آدم، من قوم نوح الذين أرسل الله سبحانه إليهم نوحًا عليه السلام،

وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي شملت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب.

وإذا قيل لك: محمد بشر؟

فهناك من يعتقد أنَّ نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلق من نور، ومن نوره خُلقت الأشياء.

فقل نعم:

محمدٌ من البشر وخلق من أبٍ وأمٍ ويمتد أصله إلى آدم، وآدم من تراب، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جملة البشر ويشاركهم في جنس صفاتهم فيأكل ويشرب ويصح ويمرض ويذكر وينسى ويحيا ويموت ويتزوج النساء ونحو ذلك، وإنما اختصَّه الله سبحانه بما حباه به من الإيحاء إليه وإرساله إلى الناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهذا هو الحق، وهو الذي شهد به الواقع وأخبر به القرآن.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

فأمره الله سبحانه أن يخبر أمته بأنَّه بشر مثلهم إلا أن الله اصطفاه لتحمل أعباء الرسالة وأوحى إليه بشريعة التوحيد والهداية.

وإذا قيل لك: محمد عبد؟

فهناك من الناس من جعل له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خصائص الألوهية والربوبية التي لا تكون إلا لله.

فقل: نعم:

هو عبدٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يستنكف عن ذلك، فقد روى البخاري عَن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**".

والدليل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء: ١].

وقد وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعبودية في أشرف المقامات فقال في مقام الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [سورة الإسراء: ١].

وفى مقام تنزيل القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [سورة الكهف: ١]، وفى مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الجن: ١٩].

وإذا قيل لك: كم عمره؟

الذي عاش به في هذه الحياة الدنيا.

فقل: ثلاث وستون سنة:

لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الصحيحين، قالت: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**تُوُفِّيَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ**"

أربعون منها نبي:

والدليل على ذلك حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ** ". رواه أحمد

قال الحافظ ابن رجب في لطائف المعارف:

يستدل بهذا الحديث على أنه صلى الله عليه وسلم وُلد نبيا؛ فإنَّ نبوته وجبت له من حين أخذ الميثاق منه، حين استُخرج من صُلب آدم، فكان نبيا من حينئذ. اهـ

وقال السفاريني رحمه الله في لوامع الأنوار (٢/ ٣٠٥): " تنبيه: لم يكن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة على دين قومه، بل ولد مسلما مؤمنا، كما قال ابن عقيل وغيره، قال في نهاية المبتدئين: قال ابن عقيل: لم يكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على دين سوى الإسلام، ولا كان على دين قومه قط، بل ولد نبينا مؤمنا صالحا على ما كتبه الله، وعلمه من حاله. انتهى ". (١)

---

(١) وقد دلت آيات القرآن الكريم على أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يصطفي ويختار من البشر أنبياء ورسلاً يحوطهم بعنايته ورعايته منذ ولادتهم، فقد قال الله سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. حيث ذكر ربنا في هذه الآيات وما بعدها، حياة موسى عليه السلام، وعناية الله سبحانه به منذ ولادته حتى وفاته.

وقال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾. =

وثلاث وعشرون نبي ورسول:

لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في الصحيحين، قَالَ: "**بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ**"

نبئ بإقرأ: أي أنَّه أُعلِم بنبوته وبعثته حين جاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [سورة العلق: ١-٥].

فنبيء بهذه الخمس الآيات.

وأرسل بالمدثر:

لما ثبت في الصحيحين عن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: "**بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**" **فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [سورة المدثر: ١-٥].

وخرج على الناس فقال: "**يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**".

= وقال سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴾. وكذا ما ذُكر في حديث العرباض المذكور عن نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فهو رسول ربِّ العالمين إلى الناس أجمعين، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنَّه خاتم النبيين، وأنَّه مبعوث إلى الناس كافة.

فكذبوه وآذوه وطردوه:

وكان من أول المكذبين له وأشد المؤذين له هو عمه أبو لهب، روى البيهقي في دلائل النبوة والدارقطني في سننه عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ فَمَرَّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**" وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟، فَقَالُوا: هَذَا غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ؟، قَالُوا: هَذَا عَمُّهُ عَبْدُ الْعُزَّى وَهُوَ أَبُو لَهَبٍ.

فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أبي لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [سورة المسد: ١-٥].

ومن ذلك الأذى ما أخبر عنه ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ

جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ. رواه البخاري.

ومن ذلك ما في الصحيحين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** "

وقالوا ساحرٌ كذاب:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخبرًا عن ذلك: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [سورة ص: ١-٦].

أي عجِبَ هؤلاء الكفار مِن بعث الله إليهم بشرا منهم؛ ليدعوهم إلى الله ويخوَّفهم عذابه، وقالوا: إنه ليس رسولا بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه، كيف يصيِّر الآلهة الكثيرة إلهًا واحدًا؟ إنَّ هذا الذي جاء به ودعا إليه لَشيء عجيب.

فأنزل الله عليه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٣].

أي مع تأييد الله عز وجل لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالمعجزات فقد حاججهم بهذا الدليل العقلي على صدق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وصحة ما جاء به، فقوله سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فهاهنا أمر نصف، فيه الفيصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم أنَّه من عند الله، وقلتم أنتم أنَّه تقوَّله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهدائكم، فإنَّ هذا أمر يسير عليكم، خصوصا وأنتم أهل الفصاحة والخطابة، والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم

بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى، ودليل واضح جلي على صدقه وصدق ما جاء به.

بلده مكة:

وهي خير أرض الله وأحب البقاع إلى الله فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ فَقَالَ: **"وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ"**.

فيها أول بيت وُضِعَ لعبادة الله في الأرض، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ٩٦].

ففيها بيت الله العتيق، وهو مكان تجمُّعِ الفضائل ومحطِّ المكارم.

والصلاة في المسجد الحرام بمكة؛ خير من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، عدا المسجد النبوي، الذي تكون الصلاة فيه بألف صلاة.

وتختص مكة بالحج والعمرة والطواف بالبيت واستلام الحجر الأسود والركن اليماني، والسعي بين الصفا والمروة.

وأنَّ الله تعالى أقسم بها فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ [سورة البلد: ١].

و(**لا**) في الآية تفيد التوكيد.

وهي حرام بتحريم الله لها فلا يسفك فيها دم، ولا يصاد صيد، ولا يعضد شجر، ولا يقطع نبات، ولا يلتقط لقطة إلا لتعريف.

وغير ذلك من الفضائل التي جعلها الله سبحانه لبلده الحرام.

وولد فيها:

فمولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بمكّة المكرمة في شِعِب أبي طالب، ويُسمّى أيضاً بِشِعب بني هاشم؛ لحصار قُريش لبني هاشم فيه ببداية الدعوة.

ولا اختلاف بين أهل العلم في أنَّ مولده كان عامَ الفيل.

وأما اليوم: فهو يوم الاثنين، ففيه وُلد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه بُعث، وفيه توفي، فعن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟ قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ -. رواه مسلم

وأما الشهر وتحديد اليوم الذي ولد فيه فهو اختلاف بين أهل العلم ولم يثبت انَّه كان في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وهذا دليل على بدعية الاحتفال بالمولد النبوي؛ إذ لو كان الاحتفال به مشروعًا من زمن الصحابة ومن بعدهم لكان تحديد اليوم والشهر معلومًا، فتبين بذلك أنَّ الصحابة عليهم رضوان الله لم يكونوا يحتفلون بمولده ولا من تبعهم في القرون المفضلة.

وعاش في مكة ثلاثًا وخمسين سنة، أربعون منها قبل النبوة، وثلاثة عشر منها بعد النبوة.

وكان في الثلاث عشر سنة يدعو إلى التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ثم فُرضت الصلاة بعد عشر سنين من البعثة حين عرج به إلى السماء السابعة، وبقية أركان الإسلام فرضت بعد الهجرة.

وهاجر إلى المدينة:

الهجرة إلى المدينة جاءت بعد هجرتين إلى بلاد الحبشة، هاجرها كثير ممن آمن بالله سبحانه واتبع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي المرة الثالثة أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنبيه بالهجرة إلى المدينة، وهناك أسباب كثيرة جعلت هذه الهجرة متحتمة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، ومن هذه الأسباب:

١. الاضطهادُ والأذى الذي لقيه المسلمون من قريش لمن دخل في دين الله سبحانه، خاصة أنَّ الذين كانوا يدخلون في دين الإسلام غالبهم من المستضعفين، فاشتد الأذى عليهم.

٢. حصارُ قريش لمن أسلم ودخل في دين الله سبحانه، فقد فُرِض عليهم حصار شديد استمر لثلاث سنوات لم يجد فيها أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يأكلون حتى أكلوا أوراق الشجر.

٣. تآمرُ المشركين على قتل النبي فقد قرروا قتل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعدوا العدة لذلك، قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال: ٣٠].

أي: واذكر أيها الرسول، ما منَّ الله به عليك حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم، إما أن يثبتوه عندهم بالحبس ويوثقوه، وإما أن يقتلوه، وإما أن يخرجوه من ديارهم.

فاتفق رأيهم على رأيٍ رآه شريرهم أبو جهل لعنه الله، وهو أن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش فتى ويعطوه سيفا صارما، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل. فيرضى بنو هاشم بديته، فلا يقدرون على مقاومة سائر قريش، فترصدوا للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه، فجاءه الوحي من السماء، ومنع الله رسوله منهم، وأذِن له سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالهجرة إلى المدينة.

وعندها ذهب صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأبي بكر ليخبره بذلك، ليتجهزا للرحيل، وقدَّم أبوبكر راحلتين، كان قد أعدَّهما لهذا السفر، واستأجر عبد الله بن أريقط، ليدلّهما على الطريق.

وخرج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأبو بكر من مكة المكرمة في الخفاء، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بأن يتسمع أخبار أهل مكة، وأمر عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاراً ويريحها عليهما ليلاً، وكانت أسماء تأتيهما بالطعام، وعند وصولهما إلى الغار، دخل أبو بكر الغار قبل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وذلك ليتأكد أمان الغار لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

كانت قريش قد أعدَّت مكافأة لمن يأتي برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وما إن علم سراقة بهذه المكافأة التي وضعتها قريش فجهز فرسه وانطلق نحو رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان كلما أراد الاقتراب من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غرزت قدما فرسه في التراب، حتى ناداه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعطاه الأمان على أن يدعو الله أن يكشف عنه ما أصابه، وكتب له رسول الله كتاب أمان، على أن يكف سراقة عنهما الطلب، ويقول لقريش بألّا يبحثوا في الجهة التي هاجر منها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنّه قد بحث فيها جيدًا.

وبمجرد معرفة الأنصار بخبر خروج رسول الله من مكة المكرمة، خرجوا لاستقباله، فإذ هو في ظل النخلة مع صاحبه الصدّيق، واستقبلهما ما يقارب خمسمائة من الأنصار، وأقام حينها بقباء أربعة أيّام بنى فيها أول مسجد في الإسلام، وهو مسجد قباء، ثم من هناك كانت بداية انطلاق دولة الإسلام وأعظم مراحل تأسيسها، وتخرَّج منها أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين انتشروا يعلمون الناس ويفتحون السند والهند، حتى وصل الإسلام إلى ما وراء البحار، وبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار.

وبها توفي:

فالموت مما كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على جميع خلقه، ومنهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٠]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٣٤].

أي قضى الله أن لا يخلَّد في الدنيا بشر، فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت، وإذا كان الأمر كذلك أفإن مت أنت أيبقى هؤلاء؟

ولكن ما مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، قال سبحانه قبل موت نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

وقد توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة في يوم لم ير في تاريخ الإسلام أظلم منه، قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". رواه الدارمي والبغوي.

وتحكي لنا أمُّنا عائشة لحظات مفارقة روحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجسده فقالت: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: "**أَنْ نَعَمْ**" فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: "**أَنْ نَعَمْ**" فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ - يَشُكُّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ،

يَقُولُ: "**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**" ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: "فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى" حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. رواه البخاري

ودفن جسمه :

وذلك مما كتبه الله سبحانه وتعالى على بني آدم، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة طه: ٥٥].

أي: من الأرض مبدؤكم، فإنَّ أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي: وإليها تصيرون إذا متم وبليتم، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الإسراء:٥٢].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٥].

وقد دُفِن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجرة عائشة بعد اتفاق الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، كما صح عند البخاري من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: "**أَيْنَ أَنَا اليَوْمَ، أَيْنَ أَنَا غَدًا**" اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي، قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي.

وكان لدفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجرة عائشة حكمٌ متعددة، ومن ذلك ما أخبرت عنه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ

مِنْهُ: "**لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**"، قَالَتْ عَائِشَةُ: "لَوْلاَ ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا". متفق عليه

قال العلماء: إنما نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر.

فعُلِم مِن هذا أنَّ القبر لم يكن داخلاً في المسجد من أول الأمر؛ وإنما دخل حينما احتاج المسلمون لتوسعة المسجد النبوي، فلا حجة فيه إذًا لمن يُعظِّمون القبور ويشيدونها في المساجد، إذ كيف يخالف أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ رسولهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي نهاهم عن الغلو في القبور.

وبقي علمه:

وهو الدين الذي جاء به، وهما الأصلان اللذان لا يقوم الدين إلا بالتمسك بهما الكتاب والسنة، فقد روى الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ".

نبي لا يعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع:

فلا نغلو فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا نجفو عنه، فلا نقول إنَّه رجلٌ عبقري وذكي إنما اكتسب النبوة بذلك، كما تقوله الفلاسفة القدماء ومن تأثر بهم في هذا العصر.

ولا نغلو فيه كالصوفية الذين يدعونه، ويستغيثون به من دون الله ويسألونه المدد وقضاء الحوائج، وتفريج الكربات، وغير ذلك من الأمور التي لا تكون إلا لله جل في علاه، حتى قال قائلهم:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي	فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإنَّ من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

فتأمل ما في هذه الأبيات من الشرك الصراح:

منها: أنه نفى أن يكون له ملاذٌ إذا حلَّت به الحوادث، إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا هو.

الثاني: أنه دعاه، وناداه بالتضرع، وإظهار الفاقة، والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية.

الثالث: جعل الدنيا والآخرة من عطاء النبي وأفضاله، والجود هو: العطاء والإفضال.

فمعنى الكلام: أن الدنيا والآخرة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾﴾ [سورة الليل:١٣]. ويقول سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النجم:٢٥]. وأيّ غلو أكبر من هذا؟!

الرابع: جعل ما جرى بالقلم السابق في اللوح المحفوظ بعض علوم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٩].

كلُّ هذا من الغلو في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ"**. رواه البخاري عن عمر.

ومحبة رسولنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة، وهي مقدمة على النفس والمال والأهل والوالد والولد ففي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"**

ودلائل محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة:

منها نصرته في حياته ونصرة سنته بعد موته، فأما نصرته حال حياته، فهذا مما خص الله تعالى به أصحابه، وقد قاموا بما أوجبه الله تعالى عليهم من نصرة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير قيام، وأمَّا نصرة سنته بعد موته فهذا الواجب علينا نحن.

ومنها الحرص على امتثال أمره واجتناب نهيه.

ومنها الحرص على تبليغ سنته والدعوة إليها.

ومنها الذب عنه وعن عرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرد على من طعن فيه أو في سنته أو في عرضه، أو في أصحابه، أو تنقصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو تنقص سنته وحديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها التأسي به والبعد عن البدع والمخالفات.

ومنها كثرة الصلاة عليه صلوات ربي وسلامه عليه.

وغير ذلك من دلائل محبته.

فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

كان الفراغ من كتابته والتعليق عليه في الرابع من شهر شعبان لسنة خمسٍ وأربعين وأربعمائة وألفٍ للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم

المحتويات

أهمية هذه الرسالة ٢
بسم الله الرحمن الرحيم ٤
قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٤
الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول: ٤
وهي: معرفة ربه، ودينه، ونبيه: ٤
(الأصل الأول) ٥
فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ ٥
فقلْ ربيَّ الذي ربّاني بنعمِتِهِ: ٥
وخلقني من عدم إلى وجود: ٦
قوله: وإذَا قيلَ لكَ بأي شيءٍ عرفْتَ ربَّك؟ ٧
قوله: فقُل عرفته بآياتِه ومخلوقاتِه؛ ٨
فأما الدليلُ على آياته: ٨
ودليل مخلوقاته ٨
قولُهُ تعالى: ٩
وإذا قيل لك: لأي شيء خلقك الله؟ ٩
فقل: لعبادته وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه. ٩
ودليل العبادة: ٩
قوله تعالى: ٩
ودليل الطاعة: ١٠
قوله تعالى: ١٠
قوله سبحانه: ١٠
قوله: وإذا قيل لك: أي شيء أمرك الله به ونهاك عنه؟ ١٠
ونهاني عن الشرك: ١١
ودليل الأمر قوله تعالى: ١١
ودليل النهي عن الشرك قوله تعالى: ١١
وقوله: ١١
(الأصل الثاني) ١٣
إذا قيل لك: ما دينك؟ ١٣
فقل: ديني الإسلام. ١٣
وهو الاستسلام والإذعان والانقياد إلى الله تعالى. ١٣

والدليل: ١٣
قوله تعالى: ١٣
وقوله سبحانه: ١٣
وهو مبني على خمسة أركان: ١٤
أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله: ١٤
وإقام الصلاة: ١٤
وإيتاء الزكاة: ١٥
وصوم رمضان: ١٦
وحج البيت من استطاع إليه سبيلا. ١٦
فأما دليل الشهادة فقوله تعالى: ١٦
ودليل أن محمدًا رسول الله قوله تعالى: ١٨
ودليل الصلاة قوله تعالى: ١٨
ودليل الزكاة قوله تعالى: ١٨
ودليل الصوم قوله تعالى: ١٩
ودليل الحج قوله تعالى: ١٩
وإذا قيل لك: وما الإيمان؟ ١٩
فقل: أن تؤمن بالله ٢٠
وملائكته: ٢١
وكتبه: ٢١
ورسله: ٢٢
واليوم الآخر: ٢٣
وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى: ٢٣
والدليل قوله تعالى: ٢٤
ودليل القدر قوله تعالى: ٢٤
وإذا قيل لك: ما الإحسان؟ ٢٥
فقل: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ٢٥
وإذا قيل لك: منكر البعث كافر؟ ٢٦
فقل: نعم: ٢٦
والدليل قوله تعالى: ٢٦
(الأصل الثالث) ٢٧
إذا قيل لك: من نبيك؟ ٢٧

إذا قيل لك: من أول الرسل ٢٨
فقل أولهم نوح: ٢٨
وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم: ٢٨
وإذا قيل لك: بينهم رسل؟ ٢٩
فقل: نعم: ٢٩
والدليل قوله تعالى: ٢٩
وإذا قيل لك: محمد بشر؟ ٣٠
فقل نعم: ٣٠
وإذا قيل لك: محمد عبد؟ ٣٠
فقل: نعم: ٣١
والدليل قوله تعالى: ٣١
وإذا قيل لك: كم عمره؟ ٣١
فقل: ثلاث وستون سنة: ٣١
أربعون منها نبي: ٣٢
وثلاث وعشرون نبي ورسول: ٣٣
نبئ بإقرأ: ٣٣
وأرسل بالمدثر: ٣٣
فكذبوه وآذوه وطردوه: ٣٤
وقالوا ساحرٌ كذاب: ٣٦
فأنزل الله عليه: ٣٦
بلده مكة: ٣٧
وولد فيها: ٣٨
وهاجر إلى المدينة: ٣٩
وبها توفي: ٤١
قال العلماء: ٤٤
وبقي علمه: ٤٤
نبي لا يعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع: ٤٥
فتأمل ما في هذه الأبيات من الشرك الصراح: ٤٥
ودلائل محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة: ٤٦